

## خطبة قس بن ساعدة

### التعريف بالخطيب :

هو قس بن ساعدة بن عدي من قبيلة إياد بنجران ، كان زاهداً في الدنيا وخصوصاً بعد أن مات له أخان و دفنهما بيده . و كان قس يحضر سوق عُكاظ و يسير بين الناس و ينذرهم .. ولقد ضرب به المثل في الخطابة و البلاغة و الحكمة فيقال إنه أول من كتب " من فلان إلى فلان " وأول من أقر بالبعث من غير علم ، وأول من قال " أما بعد " وأول من قال " البينة على مَنْ ادَّعى واليمين على من أنكر " ، وأول من توكَّأ على عصا ، ويقال أنه قد عاش مائة وثمانين سنة و قد توفي قبل بعثة النبي بحوالي عشر سنوات .

### جو النص :

كان قس بن ساعدة ينكر المنكر الذي شاع في الجاهلية ، و الغفلات التي كانت تسيطر على الناس فتنسيهم الموت و البعث و الجزاء . و كان قس و كثير من العقلاء يتوقعون أن يُبعث نبي يغير ما شاع في الجاهلية من معتقدات فاسدة و منكرات موبقة (مهلكة) .. وهذه خطبة له قالها في سوق عُكاظ قبل ظهور الإسلام فيها تأملاته في الحياة و الكون بحثاً عن وجود الخالق يقدم فيها نصحه مخلصاً .

### النص :

" أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا وَعُودُوا ، إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ .. "

### اللغويات :

٥ الحُطْبَةُ : ضرب (نوع) من الكلام البليغ يلقيه رجل عظيم نابه الشأن في جمع من الناس ، وأهم ما تفتضيه الإقناع والإمتاع ج حُطْب - اسْمَعُوا : أنصتوا - وَعُوا : افهموا واحفظوا ، مادتها (وعي) - فَات : مرّ وانتهى و مضى - آتٍ : قادم × راحل .

الشرح :

يدعو قس الحاضرين إلى الانتباه لما سيقوله وتدبّر معانيه جيداً قائلاً لهم : أيُّها الناس إن لكل إنسان نهاية مهما طالَّت حياته ، فالموت مصير كل كائن حي ، ومن مات فقد انتهى أمره ، ومن لم يمت اليوم فسيموت غداً فلا مهرب من الموت..

التذوق :

٥ (أَيُّهَا النَّاسُ) : أسلوب إنشائي / نداء ، غرضه : التنبيه وجذب الاهتمام . وقد حذف أداة النداء للدلالة على قربهم من نفسه .

٥ (اسْمَعُوا وَعُوا) : أسلوب إنشائي / أمر ، غرضه : النصح والإرشاد .

س ١ : ما رأيك في ترتيب الفعلين (اسمعوا وعوا) ؟

ج : ترتيب دقيق ؛ لأن الإنسان يسمع أولاً ثم يفكر ويتأمل بعد ذلك ، فالثاني مترتب على الأول .

٥ (إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَاتَ) : أسلوب خبري غرضه : التقرير ومؤكد ب (إن) فلكل أجل كتاب .

٥ (عَاشَ - مَاتَ) : محسن بدعي / طباق يبرز المعنى ويوضحه بالتضاد .

Ô (وَمَنْ مَاتَ فَاتَ - وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ) : حكمتان صادقتان تؤكدان على أن الموت لا فرار منه .

Ô (مَاتَ - فَاتَ) : محسن بديعي / جناس ناقص يعطي تناغماً موسيقياً جميلاً .

Ô (اسْمَعُوا وَعُوا - مَاتَ - فَاتَ - آتٍ) : محسن بديعي / سجع ، وهو سجع جميل غير متكلف .

تذكّر :

الجناس : اتفاق أو تشابه كلمتين في اللفظ الأخير واختلافهما في المعنى .  
Ô مثال : " صليت المغرب في أحد مساجد المغرب .. " أو " يقيني بالله يقيني " .  
ويكون الجناس تاماً إذا اتفقت الكلمتان في نوع الحروف وعددها وترتيبها وضبطها كما في المثالين السابقين.

فإن اختل أحد هذه الشروط أصبح الجناس ناقصاً.  
Ô مثال : من بحر شعرك أعترف .. وبفضل علمك أعترف  
Ô سر جمال الجناس : أنه يحدث نغماً موسيقياً يثير النفس وتطرب إليه الأذن  
السجع : هو اتفاق جملتين أو أكثر في الحرف الأخير ويأتي في النثر فقط .  
Ô مثال : (الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخشوع).  
Ô سر جمال السجع : يحدث نغماً موسيقياً يثير النفس وتطرب إليه الأذن إذا جاء غير متكلف .

النص :

" لَيْلٌ دَاجٌ ، وَنَهَارٌ سَاجٌ ، وَسَمَاءٌ دَاتٌ أَبْرَاجٌ ، وَجُومٌ تَزْهَرُ ، وَبَحَارٌ تَزْخَرُ .. ، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَحَبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعَبْرًا . مَا بَأْسُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ؟! أَرْضُوا بِالْمَقَامِ

فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرِكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا؟! " .

اللغويات :

ô دَاج : مظلم × منير ، مضيء - نَهَارٌ جَ أَنْهَرُ ، نُهْرٌ - سَاجٌ : يذهب و يجيء ، شامل - دَاتٌ : صاحبة ج ذوات - أَبْرَاجٌ : أقسام للسماء - تَزْهَرُ : تتلألأ × تظلم - تَزْحَرُ : تمتلئ × تخلو - لَعْبَرَا : مواعظ م عِبْرَةٌ ، أما ال " عِبْرَةٌ " بفتح العين فهي الدمعة - بَأَلٌ : حال وأمر - أَرْضُوا : أفتعوا وارتضوا × رفضوا - بِالْمَقَامِ : بالإقامة .

الشرح :

يتأمل قس في الكون فيقول أن الحياة بما فيها من ليل مظلم يتعاقب مع نهار منير، وسماء أظلت الأرض بأبراج متعددة ، ونجوم زاهرة ، وبحار زاخرة بألوان الحياة كلها تدل وتنطق على أن لهذا الكون خالقاً مبدعاً عظيماً هو الله ، ثم يتساءل متعجباً لماذا لا يعود الذين ماتوا إلى الحياة؟! أفتعوا وسعدوا بالمقام في القبور ، أم أنهم صاروا في طي النسيان فظلوا نائمين إلى أن يحين الحين .

س ١ : ما الخبر الذي في السماء ؟ وما العبر التي في الأرض ؟ (أجب بنفسك) .

التذوق :

ô أكثر الكاتب هنا من السجع في : (دَاج - سَاجٌ ، تَزْهَرُ - تَزْحَرُ ، لَعْبَرَا - لَعْبَرَا ، يَذْهَبُونَ - يَرْجِعُونَ ، فَأَقَامُوا - فَنَامُوا) ؛ ليزيد من الموسيقى غير المتكلفة في النص .

س ١ : ما العنصر البديعي السائد في الفقرة السابقة ؟ ولماذا اعتمد الكاتب عليه ؟ (أجب بنفسك) .

Ô (لَيْلٌ - نَهَارٌ) : محسن بديعي / طباق بالتضاد يبرهن على قدرة الخالق .

Ô (داج - ساج) : محسن بديعي / جناس ناقص يعطي نعمة موسيقية .

Ô (إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَحَبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا) : أسلوبان خبريان كل منهما مؤكد بمؤكدين (إن - اللام) .

Ô (مَا بَأْسَ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ؟! ) : أسلوب إنشائي / استفهام ، غرضه : التعجب .

Ô (أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا هُنَا؟) : أسلوب إنشائي / استفهام ، غرضه : إظهار الحيرة و الدهشة .

Ô (السَّمَاءُ - الْأَرْضُ) : محسن بديعي / طباق بالتضاد يبرهن على قدرة الخالق .

Ô (تَزْهَرُ - تَزْخَرُ) : محسن بديعي / جناس ناقص يعطي نعمة موسيقية .

النص :

" يَا مَعْشَرَ إِيَادَ : أَيُّنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادُ؟ وَأَيُّنَ الْفِرَاعِنَةُ الشِّدَادُ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ مَالًا  
وَأَطْوَلَ آجَالًا ..؟ طَحَنَهُمُ الدَّهْرُ بِكُلِّكَلِهِ ، وَمَرَّقَهُمُ بِنَطَاؤِهِ " .

اللغويات :

Ô مَعْشَرَ : أهل ، جماعة ج مَعْشِرٍ - إِيَادَ : قبيلة قس - الشِّدَادُ : الأقوياء م الشديد -

آجالاً : أعماراً م أجل - طَحَنَهُمْ : أهلكهم و أماتهم وقضى عليهم - الدهرُ : الزمان الممتد  
ج دهور ، أدهر- بِكَلْكَلِهِ : بصدرة ج كلاكل - ومزَقَهُمْ : فرَقَهُمْ × جمَعَهُمْ - بتطاؤله : بطوله  
وامتداده .

الشرح :

ثم يتجه بالنصيحة إلى قومه بني إِيَاد قائلاً لهم : تأملوا في حياة السابقين أين هم الآن ؟  
أين الآباء الذين عشنا في حماهم ، والأجداد الذين ورثناهم ،  
وملوك مصر الأقوياء الذين رهبناهم كانوا أكثر منكم مالاً وأطول أعماراً كل هؤلاء فُضِيَ  
عليهم ضمُّهُم التراب بعد أن سحقهم الزمان وأهلكهم .

التدوق :

ô (يَا مَعْشَرَ إِيَاد) : أسلوب إنشائي / نداء ، غرضه : التنبيه .

ô (أَيْنَ الآبَاءِ والأَجْدَادِ ؟ - وَأَيْنَ الفَرَاعِنَةُ الشِّدَادِ ؟) : أسلوبان إنشائيان / استفهام ،  
غرضهما : شد الانتباه والتشويق لمعرفة الإجابة .

ô (أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ مَالاً و أطولَ آجالاً .. ؟) : أسلوب إنشائي / استفهام ، غرضه  
: التقرير .

ô (طَحَنَهُمُ الدهرُ بِكَلْكَلِهِ) : استعارة مكنية ، فقد شبه الدهر في قوته وشدته بجمل  
ضخم يطحن وشبه الناس بالحبوب التي تطحن ، وهي صورة تبرز مدى ضعف الإنسان أمام  
قسوة الزمان .

ô (ومزَقَهُمْ بتطاؤله) : أيضاً استعارة مكنية ، تصور الدهر بمزق ومفرق للجماعات .

٥ ولقد أكثر الكاتب هنا أيضاً من السجع في : (إياد - الآباء - الأجداد - الشِّداد ...  
مألاً - آجالاً ... بِكُلِّكَلِهِ - بتطاؤله) .

س ١ : خلت الخُطبة من الصور الخيالية إلا من صورة خيالية واحدة ممتدة . علل ثم اذكر  
الصورة ، وبين سر جمالها .

ج: خلت الخُطبة من الصور الخيالية ؛ لأن الكاتب اعتمد على الأدلة المنطقية  
والمشاهدات المرئية التي لا تحتاج إلى خيال .

- أما الصورة الخيالية فهي : (طَحَنَهُمُ الدَّهْرُ بِكُلِّكَلِهِ) : استعارة مكنية فقد شبه الدهر في  
قوته وشدته بجمل ضخيم يطحن وشبهه الناس بالحبوب التي تطحن ، وهي صورة تبرز مدى  
ضعف الإنسان أمام قسوة الزمان .

التعليق :

س ١ : ما الخطابة ؟

ج : الخطابة هي فن مخاطبة الجمهور ، بأسلوب يعتمد على استمالتها  
و التأثير على عواطفها بغرض إقناعها .

س ٢ : لماذا ازدهرت الخطابة في العصر الجاهلي ؟

ج : لأسباب منها :

١ - فصاحة العرب كلهم .

٢ - حرية القول .

٣ - دواعي الخطابة كالحرب و الصلح والمفاخرات بين العرب .

س ٣ : يعتمد فن الخطابة على دعامين . وضحهما ، وبين وسائل الخطيب في تحقيقهما

أو اعتمد صاحب الخطبة على الإقناع . فما وسائله لذلك ؟

ج : بالفعل يعتمد فن الخطابة على دعامتين هما : الاستمالة و الإقناع ، ولكي يحقق الاستمالة عليه أن يثير عواطف المستمعين و يجذب انتباههم عن طريق تنوع الأساليب التي تناسب ميول السامعين ورغباتهم ومستوى تفكيرهم ، كما عليه بجودة الإلقاء و تحسين الصوت .. أما الإقناع فإنه يقوم على مخاطبة العقل عن طريق ضرب الأمثلة ، وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين .

س ٤ : أوضحت الخطبة سمات قس بن ساعدة الشخصية . وضح .

ج : بالفعل فهو صاحب عقل مفكر ، وحكيم وخبير بالحياة والبشر ، فطرته نقية و عقيدته قوية ، لسانه فصيح تطاوعه اللغة في عرض ما يريد .

س ٥ : للخطبة أجزاء . وضحها في ضوء فهمك للنص .

ج : بالفعل فللخطبة أجزاء ثلاثة وقد تحققت في النص

١ - المقدمة : وتمثلت في النص في مقدمة قصيرة للغاية هي : (أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا وَعُوا)

٢ - الموضوع : وتمثلت في الحديث عن الحياة و الموت ، و التأمل في الكون ، والتساؤل

عن مصير الناس بعد الموت .

٣ - الخاتمة : وتمثلت في ضرورة أن يأخذ الآخرين العظة و العبرة من تاريخ البشر

السابقين الذين ضمتهم القبور فيعلم كل إنسان أن الموت هو النهاية الحتمية له فلا يتكبر ولا يغتر بقوته .

س ٦ : بصّرت خطبة قس بمصير الناس ، وظواهر الحياة . وضح .

ج : بالفعل بصّرت خطبة قس بمصير الناس فهم جميعهم مصيرهم إلى الموت و الفناء ،

فمن ترك الدنيا فقد انتهى أمره وزال ، ومن لم يمت اليوم فمصيره - في الغد - الموت و الزوال أيضاً .

- بصّرت خطبة قس بظواهر الحياة من ليل مظلم يتعاقب مع نهار ، وسماء أظلت الأرض

بأبراج متعددة ، ونجوم زاهرة ، وبحار زاخرة كلها تدل وتنطق على أن لهذا الكون خالقاً مبدعاً عظيماً .



س٧ : بم تميز أسلوب قس بن ساعدة ؟

ج : تميز بالأفكار الواضحة ، و العبارة القصير المتوازنة و الألفاظ السهلة ، وقد نَوَّع أسلوبه ما بين خبري و إنشائي ؛ لتقرير الحقائق و تأكيدها ولجذب انتباه المستمعين إليه ، وجاءت صوره البيانية قليلة ، ولقد أكثر من الموسيقى اللفظ النابعة من السجع و الجناس .

س٨ : ما أثر البيئة في النص ؟

ج : البيئة تتمثل في :

- ١ - إقامة العرب لأسواق أدبية .
- ٢ - معرفة العرب بعلم الفلك .
- ٣ - إلمامهم بتاريخ الشعوب المجاورة لهم .

أسئلة :

س ١ : تخير الإجابة الصحيحة لما يلي مما بين الأقواس :

- " عُوا " فعل أمر ماضيه : (عَوَى - وَعَى - وَعَوَع). .
- معنى " ليل داج " : (ليل طويل - ليل مظلم - ليل هادئ).
- مقابل " ساج " : (معتدل - مغطي - يذهب ويجيء).
- مفرد " عبر " : (عَبْرَة - عَبْرَة - عبير).
- المراد بـ " المقام " : (المنزلة والقدر - موضع الإقامة - العدل).
- " هناك " إشارة إلى : (قبورهم - بلادهم - قبيلتهم).

س٢ : جاءت خطبة قس رنانة مؤثرة . علل .

س٣ : " لَيْلٌ دَاجٍ ، وَنَهَارٌ سَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَجُجُومٌ تَزْهَرُ ، وَبِحَارٌ تَزْحَرُ .. ، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لِحَبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعَبْرًا . مَا بَأْسُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ؟! أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرْكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا ؟! " .

هات ما يلي :

- جملة مؤكدة، وبين وسيلة توكيدها.

- أسلوباً إنشائياً، وبين نوعه، وغرضه البلاغي.

- محسناً بديعياً، وبين نوعه، وأثره.

مرسلة بواسطة **Manal Ali Khalil** في ٢٠١١/٢٠/١٠

إرسال بالبريد الإلكتروني

كتابة مدونة حول هذه المشاركة

المشاركة في **Twitter**

المشاركة في **Facebook**

المشاركة على **Pinterest**

